ميري ليطڤاك - ثلاث قصص

ترجمة عن العبرية: سلافة زيداني

مجلة النكبة التي لم تنتهِ

نحو عودة لاجئين فلسطينيين

العدد ٦، أيار ٢٠١١

مهندس متوسط

يعمل العم چاريك حاليّاً في الجامعة. اخترع هو وأصدقاؤه طريقة قياس كهرومغناطيسية لقياس شيء ما في الماء. شرح لي جدّي أنّ هذا إختراع هام، وقد كتبوا عنه في صحيفة «هآرتس». أرتني جدّتي المقالة مع صورة العم چاريك في مختبره.

«ممتاز»، قال جدّي بعد أن قرأ المقالة. «سيساعد بحثهم على تحويل مياه بحر إسرائيل إلى مياه يمكن شربها!»

فرح الجميع من أجل العم چاريك، لكن العم چاريك كان يبدو أقل رضى من الآخرين. «لم أعتقد أن أحداً سيحتاجني هنا أبداً»، قال لي بينما كنّا ننزل الدرج. منذ أن بدأ عمله، إذا لم يعد متأخراً إلى البيت، ننزل مساء إلى تحت لندور عدة دورات بالدراجة حول الحديقة. يركب عمّي دراجة أبي الذي لا يستعملها أصلاً، ثم يساعدني لأنزل درّاجتي. «حسناً، ما دامت الصحة موجودة ...» أضاف العم چاريك وأصدر صوتاً بين تنهد وشخير.

بنظري كان العم چاريك يبدو بصحة جيدة. يسوق دراجته بسرعة وبتعرّج، ويضحك لي. علّمني أن أسوق الدراجة دون وضع يديّ على المقود، والآن أنا أعرف فعل ذلك حقاً بشكل جيد.

«أنا لست متفوقاً في مهنتي»، يقول لي ونحن نضع الدراجات ونجلس على المقعد لاستراحة. أصبحت الحديقة فارغة. صعد الأولاد الصغار إلى البيت لوجبة العشاء. «أعرف أنّي متوسط...» يقول دون حزن، كأنما يشير إلى حقيقة عديمة الأهميّة.

«هذا بسبب أبي»، تنهّد، ولا أعرف إذا كان من تعب اليوم أم من الحزن.

«بسبب أبيك؟» لم أفهم، «ولكنه مات منذ فترة طويلة، أليس كذلك؟»

«نعم، وبسنٍّ كبيرة»، يوافقني العمّ چاريك، «لكن عندما كنت قريباً من أن أبدأ دراستي للطبّ وجدَته أمّي معلّقاً على حبل. خرجت إلى العمل، لكن في طريقها إلى القطار الكهربائي كُسر كعب حذائها، فعادت إلى البيت لتغيّر الحذاء»، حكى لي بنبرة عمليّة وبدون شرود ذهن، كأنها معلومات يجب عليّ أن أعرفها، «كان أبي قد فقد الوعي، ولكنها نجحت أن تعيده إلى قيد الحياة. أمي أيضاً كانت طبيبة ...»

«حاول أن يقتل نفسه؟» سألت «لكن لماذا؟»

«لماذا؟» استدار چاريك نحوي مقلّصاً عينيه بصورة مألوفة لي. «صرخت كل الصحف ضد 'القتلة بالثياب البيضاء' فصار كل البروفسورات اليهود الذين مع أبي في المستشفى يخافون من أن يأتوا إلى العمل. كانوا بانتظار أن يأتوا ليأخذوهم بأي لحظة...»، استعمل مصطلحاً قد عرفته من قصص جدّي. ولم يهتم أن يفسّره لي، كأنه يعرف أني أعرفه من قبل. «خطّط ستالين أن ينفي كل اليهود إلى سيبيريا وأن يعدمهم...» قال ثم سكت للحظة، «أبي خاف أيضاً»، أضاف، «سنموت كلّنا قريباً، كان أبي يردّد ويتمتم كل مساء وهو جالس بدون حركة على كرسي صغير بالمطبخ

أمام كأسه. كان يحب الشرب... أمّا أنا... أنا لم أستطع أن أصدّق أننا جميعنا سنموت قريباً. كنت شابّاً. أردت أن أعيش. أردت أن أصبح طبيباً مثله ومثل كل الأجيال بعائلتي...» استند العم چاريك على ظهر المقعد ومدّ ذراعيه فوق رأسه، «بعدها مات ستالين»، لخّص. «حدث ذلك في الربيع. كان الثلج ما زال موجوداً، لكن الشمس طلعت وقت الظهر ونشرت الدفء، وفي الصباح اكتست الشوارع والأرصفة بطبقة دقيقة من الجليد. لذلك انزلقت قدما أمي وانكسر كعب حذائها، حظّ !...» ضمّ ذراعيه خلف رأسه وسكت، ولكني لم أشعر أنّه يحلم أو يتذكر كما تفعل أمي عندما تحكي قصّة. فقد كان حاضراً معي كلّ الوقت.

«أتفهم يا بوبيك؟ أتفهم ما معنى هذا؟» سأل وعانق كتفي. أحسست بذراعه الحارّة ويده التي تمسك بكتفي بإحكام. قال لي جدّي أنّه قبل أن يتطوّر الطب كانت قوّة الطبيب متعلّقة بيديه. كانوا يتحسسون المريض وهكذا يعرفون ما هو مرضه وكيف يتم علاجه. لم يكونوا بحاجة إلى رنتجن أو أولترا ساوند أو سي تي. كانت كفّا يدي چاريك عريضتين وليّنتين، لا أعرف إن كانت للأطباء الذين يستطيعون تحديد الأمراض عن طريق اللمس كفوف كهذه، لكني شعرت بحزمها وقوة من يعرف أن يفعل بها أشياء متنوعة.

«بعد حادثة أبي استسلمت. أصبحت مهندساً. لكن ... لكن أنا متوسط، أنا أعرف ذلك....» نظر نحو ظلمة الحديقة. كانت فارغة كليّاً، سوى زوجين فقط يتهامسان على المقعد البعيد ولم ينتبها إلينا. «تماماً في تلك الفترة، جاءت أمّك إلينا إلى تشينسك. شابّة يهوديّة رقيقة هاربة من موسكو. هكذا أصبحنا أصدقاء. أبوك أيضاً انتظر موته في موسكو. جميعهم انتظروا. لذلك سمح لكارلِتْشكا بالهرب. كي تنجو هي على الأقل. هكذا ظنّ.»

لَم أقاطع كلام چاريك لأن قصته كانت مألوفة لي. فكّرت بالأشجار في الساحة التي حكت لي أمي عنها وعن الطريق المائل بين زاويتي العمارتين. كل شيء انتظم عندي فجأة ليكوّن قصّة واحدة. يبدو أن كتاب جدّي بالغلاف الأزرق كان فعلاً هديّة لجدّتي، هديّة اعتذار على أنه لم يقترح عليها الزواج في الوقت الملائم. «لكن ما رأيك؟» غيّر چاريك نبرة صوته، «أنَدور دورة أخرى أم نصعد إلى فوق؟ جدّتك بالتأكيد بانتظارنا، ألا تظنّ؟»

«لا أعرف»، قلت. لم أرغب بدورة أخرى، وكذلك لم أرد أن أصعد. أردت أن أسأل العم چاريك أشياء أخرى. فقد كان يحكي بطريقة تختلف عن طريقة جدّي. كان يحكي الحدث نفسه، كما حدث، وقد كان فهمه سهلاً. فكّرت بوجه أبيه الفارغ من الدم والحبل يلتف حول عنقه، فكّرت في أشجار الدلب الباسقة وبالغابة المثلجة، في الجليد الدقيق تحت قدمي أم چاريك، وفي شابّة يهودية رقيقة مرتدية معطفاً غامق اللون قادمة إلى تْشينسك لتدرس الطب كي لا يأتي رجال ستالين ليأخذوها ويرسلوها مع كل الأطباء اليهود إلى سيبيريا بقطار البضائع.

«لكن لِمَ لَم يهرب جدّي مع جدّتي إلى تْشينسك؟» سألت العم چاريك.

« هذا لا أعرفه. فقد كنت مجرّد فتىً. عليك أن تسأله هو»، رَبت العم چاريك على كتفي. «لعله ما زال يتذكّر».

القطعة السوداء

أشار چاريك إلى داخل محفظته. ألقيت نظرة داخلها، ولكن قبل أن أرى شيئاً تَسلّلت إلى أنفي رائحة الخبز. على الشاطئ، بالقرب من البحر، تفوق رائحة المياه والهواء كلّ رائحة أخرى، وعلى الرغم من ذلك، شعرت برائحة الخبز قوية ولاذعة. كسرة واحدة من خبز أسود موضوعة في محفظة العمّ چاريك كانت كالخبز الذي كانت جدَّتي كلارا تشتريه من حانوت أولِچ بالقرب من بيتها، خبزٌ داكن كثيف، وكل شريحة منه أثقل بأضعافٍ من الخبز الهوائي الذي يقتنيه والدي من السوبرماركت.

"حين أخرج من البيت"، قال لي العم چاريك بنبرة معرفية وبسريّة، «آخذ معي دائماً قطعة من الخبز كي لا أجوع خلال النهار».

"لا، أبداً!" أردت أن أطمأنه، "لن تجُوع!" قلت "اليوم السبت، وسنأكل وجبة غداء جميلة واحتفاليّة، وجبة سبت!". حتّى أننا ربما نذهب إلى مطعم بمناسبة زيارته، فكرت بداخلي، إلا أن أبي انفصل عن كتابه بتلك اللحظة، استدار نحونا وقال: "إذن ... كيف كان؟"، ثمّ أومأ نحو محفظة البلاستيك بمحاذاة الغِطاء وقال: "هنالك شيء ... في محفظة تينا.. قهوة , أنظروا ... إن كان بودكم ... بوبيك، أعطني فاكهة إن وُجِدَت"، أضاف وعاد يقرأ.

أَبي لا يحب البحر. يرافقنا بالسفر إلى شاطئ أشدود في السبت فقط لأن أمي تصرّ. تحب أمي أن نقوم بأمور عائليّة، سويّاً. فهي تعتقد أنه لو فعل كلٌّ منّا شؤونه بمفرده فلن نكون عائلة. ولكن أنا أيضاً أحب أن يرافقنا أبي إلى البحر، رغم أنه لا يدخل الماء. أمّي تحاول إقناعه، وأنا أيضاً أحاول إقناعه, لكن بلا نتيجة. وحين أطلب من أبي أن يأتي معي، يبتسم بوجهي ابتسامةً صغيرة وكأن هناك سرّاً يمنعه من أن يبتلّ، وكأنه مسحور إذا دخل البحر فسيحدث شيء رهيب عظيم.

يستلقي أبي على الشرشف ويقرأ كتابه عن فلسفة الفن، وأحياناً يخرج معي لجولة قصيرة على الشاطئ. نمشي على حافة الماء ونرى أمامنا بعيداً ميناء أشدود شامخاً كوحش عملاق، كمدينة غامضة هائلة. يراقب أبي الأشخاص على الشاطئ ويقول عنهم تعليقات مضحكة، وفي كل مرّة تقترب موجة تهدد بمضغ قدميه البيضاء، يهرب بعيداً إلى عمق الرمال.

لا يخلع أبي ملابسه، وأحياناً فقط يخلع قميصه ويبقى في القميص الداخلي الأبيض البيتي. كتفاه العريضتان تبدوان من خلال كتافات القميص الداخلي عاريتين جداً. بشرتهما بيضاء رقيقة شاحبة كبشرة فتاة، ومرسوم عليهما شبكة رفيعة من الأوردة الزرقاء. هكذا يظل أبي دائماً أبيض وكأنه يعيش في بلاد شتوية وليس في إسرائيل التي فيها شمسٌ وفيرةٌ كل السنة.

شرب چاريك قهوته وهو واقف. وأكل ساندويش أمي بشهيّة. لم يجلس على الشرشف قرب أبي بل توقّف على الرمل وقفة هادئة مقابل الماء. كثيراً ما أرى الرجال على هذا الشاطئ يقفون بهذا الشكل أمام الماء. لا أعرف لما لا يتجوّلون أو يلعبون بالمضرب أو يستلقون على الشراشف ليقرأوا الكتب أو المجلات كما تفعل النساء. إنهم لا يتكلمون،

فقط يقفون ويسكتون.

«أنا ذاهب إلى الماء»، قلت أخيراً. لم أستطع أن أصمت أكثر.

بعد المكوث الطويل في الشمس، لمس الماء جلدي ببرد لاسع، ولم يعد البحر هادئاً كما كان في الصباح. صارت الأمواج تتصاعد وتعلو، تنفث الماء وتضرب، دخل الزبد إلى عينيّ وأنفي، فصرت أقفز عالياً حتى لا أتلقى الموجة على وجهي كضربة مؤلمة. كان من حولي روسيّون متقدمون بالسن ومستديرون يرتدون قبّعات حتى في الماء، وامرأة دخلت الماء وهي تضع نظارات شمسية ألصقت ورقة بيضاء على جسر الأنف. تقدّمت بتردد، وكأنها تتجنب تخريب شيء ما في هيئتها، تحرك ذراعاها الهزّازتان وكرشها المستدير وكأنها هي ماء بحر. عندما نظرت اليها رأيت العم چاريك خلفها, لقد تبعني.

« هيه، بوبيك»، توجه إليّ. أصبح يناديني كالجميع. «هل أنت آت معي حتى الصخور؟»، سألني وأشار نحو الخليج الصغير قرب محطة التزلج. لم ينتظر جواباً وقفز إلى الماء. وللحظة، رسم جسمه قوساً جميلاً فوق الأمواج. رأيت لَمعة ذراعيه اللتين استدارتا بحركات تجذيف موزونة وهادئة كجناحي عصفور. كانتا بيضاوين عليهما زغب فضّي، إنه لم يتسفّع بعد، والشمس زادتهما بياضاً. كانت حركاته طويلة وبطيئة، لعلها مخصصة من أجلي – كي يريني أنه بانتظاري – ولكنه تقدّم سريعاً، دون عصبية أو توتر.

بعد حركات معدودة، استدار باتجاهي ليفحص إن كنت سأنضم، وأومأ نحوي. لكنه لم يتكلم، وعلى كل حال كانت الأمواج صاخبة ولم يكن ممكناً أن نسمع أي شيء. تباطأت برهة ثم توجهت نحوه. لم تكن المسافة بعيدة. سبحنا الواحد قرب الأخر. حاولت أن أجعل حركاتي طويلة كحركاته كي لا أتأخر، لكني كنت متأكداً أنه يبطئ حركاته من أجلي. يبدو أنه فعلاً قويّ وسريع، رغم كبر سنّه، فكّرت للحظة، وفي تلك اللحظة تماماً عندما أدرت وجهي لآخذ نفساً بلعت من ماء البحر وحاولت بكل جهدي أن لا أسعل.

كونت الصخور خليجاً صغيراً، كبركة هادئة بعيدة عن الشاطئ. عندما وصلنا إليها تسلّقنا إلى أعلى وجلسنا لنرتاح. كانت الشمس عالية. رأيت الشاطئ أمامي وكل مدينة أشدود مفروشة أمامي. كانت فاتحة، عالية، عصرية، تبدو جديدة وكأنهم أنهوا بناءها في تلك اللحظة. ولكنها تبدو خالية من الأشخاص، وكأنه لا يسكن أحد في الأحياء العالية الشامخة، وكأن العمارات الحجرية الساطعة تحت ضوء الشمس ليست مدينة، إنما مجرّد ديكور مدينة. كل شيء فيها كان جديداً أكثر من اللازم وناعماً ونظيفاً. لم تكن أغراض على البلاكين أو أحبال غسيل ملونة، حتى عابرو السبيل كانوا قلة. ثم لاحظت أسراب المتقاعدين الجالسين على المقاعد بالقرب من الشاطئ الذي رأيناه عند وصولنا في الصباح: نساء قصيرات القامة وزائدات الوزن، شعرهن أحمر – برتقالي، مع رجال نحاف يرتدون قبعات كاسكيت ويستندون على العكاكيز.

«اسرائيل جميلة» قال چاريك. نظر معي نحو المدينة البيضاء. «البحر جيّد، جيّد جدّاً...»، أضاف «لكنه مالح... مالح جدّاً... لاسع». لم أفهم ماذا يقصد: لأنه في طبيعة الحال يجب أن يكون البحر مالحاً. كانت على وجهه ابتسامة تعبر عن متعة وعن حرج غريب. سألتُه إذا يجب أن نكون أقوياء حتى نغوص، هل هناك حاجة للكثير من القوة. شدّ كتفيه وقال: «قوة؟ لا. الغوص لا يتطلب القوة، إنما يتطلب الحب...» ثم نظر إلي وهو يقلص عينيه وكأنه وكأنه يراني عن بعد.

تقدّم اليوم واقتربت ساعة الظهيرة وكانت الأمواج تعلو وترغي. العم چاريك حوّل نظره من على المدينة إلى أعماق البحر. كان البحر واسعاً، ضخماً وحيّاً، وكأن له مزاجه الخاص به. يمتلئ بالزبد كما يكون شخص بلحظة غضب قادراً على عمل مريع بلا سبب، فالحذر محبَّذ. خفت أن يريد العم چاريك أن يسبح إلى عمق البحر على الرغم من تحذيرات أمي، فقد كان مغرياً للغاية، لكن العم چاريك نظر نحوه مطوّلاً ثم قال: «جميل، أليس كذلك؟».

عندما عدنا إلى الشاطئ كان أبي غارقاً بالقراءة. جلسَت أمي على الشرشف وكانت مشعّة ومبتلة، إذ عادت هي الأخرى من السباحة. نقّطْتُ قطرات معدودة من الماء على أبي فارتعد كل جسمه، ثم انكمش ولوح باتجاهي بيديه بطريقه مضحكة وقال: "بوبيك، لا تضايق! لا تضايق!". أمي ضحكت ضحكة عالية رنّانة، لكن أنا لم أضحك، إذ أعدت لأبي بسمته الصغيرة فقط .

في القلب دم فقط

لقد عرف جدّي عن زيارتنا للقدس. لم أقل له أي شيء. لم أحك له عن عينَي العم چاريك الغامقتين اللتين تحركتا ببطء. سألتُ جدّي إلى أين يذهب الجسم بعد الموت.

«الجسم يتحلل»، قال جدّي باختصار.

«وبماذا نشعر؟»، سألته.

«لا شيء. لا نشعر بأي شيء. كل شيء انتهى».

كان يبدو لي أن جدّي مسرور جدّاً أن يقول لي هذه الأمور. فقد قالها بفرح معيّن. رفع رأسه نحوي للحظة، وكانت على وجهه ابتسامة ماكرة، ولم أفهم إذا كان كلامه جديّاً أم دعابة، ولكني فهمت أنه لن يكشف لي الأمر ويجب عليّ أن أخمن الجواب بنفسي.

كان جدّي مشغولاً بشغلته المفضّلة: كان يرتب غلافات أسطواناته. كان يقص صوراً ملونة من الجرائد والكتيبات عليها صور ملحنين ومغنين لهم علاقة بالمقطوعات المسجلة على الأسطوانات ويلصقها على العلب حسب المضمون وحسب البلد التي صدرت بها المقطوعات المسجلة. كانت طاولته مليئة بقطع ورق رفيعة بألوان شتّى، ويمسك بيده مقصاً.

« يتحلل الجسم الميت ويتعفن»، قال وكأنه يقول حقيقة معروفة وعديمة الأهمية.

«يتحلل؟»، سألته.

«نعم، يتحلل ويتلاشى بالضبط مثل بقايا الأكل في برميل القمامة.»

«لكن يا جدّي، الأكل الذي نتركه في القمامة لا يتلاشى. إنما يتحول لشيء مقرف وينتج رائحة كريهة».

«صحيح»، أكّد جدّي، «وبعد أن ترميه في البراميل الكبيرة في غرفة القمامة في المدخل الخلفي للعمارة، يأخذه الزبّالون الى مكان يتعفن فيه، ثم يفقد شكله كليّاً ويتحوّل إلى معجون معيّن، لمادة تشبه الوحل».

« الوحل؟» لم أستطع أن أصدق ذلك، مع أني عادةً أصدق جدّي. فهو ذكي ويعرف الكثير من الأمور. «وماذا بشأن القلب؟ والروح؟» سألت.

«في القلب دم فقط»، قال جدّي وهو يلهث محاولاً أن يلصق شريطاً ورقياً أحمر على ظهر علبة البلاستيك الضيّقة.

«كل شيء يتلاشى»، قال لي دون أن ينظر إليّ. لقد بذل جهداً كبيراً حتى مدّ لسانه. مرّر أصابعه عدة مرّات على الشريط الأحمر الرفيع، ثم مسحه بمنديل، كي لا يلطّخ الغراء الغلاف.

«غير معقول...» قلت ببطء وكأنّي أكلم نفسي.

وقلب العم چاريك؟ فكرت بنفسي. حتى عينا چاريك الواسعة ستتلاشى؟ أردت أن أسأل. «تعال يا بوبيك، اصعد على الطاولة»، ناداني جدّي، «أحضر لي الكتاب الذي خلف الصورة»، قال لي.

غرفة جدّي مكتظة ومظلمة، وفقط ضوء خفيف دخل عن طريق النافذة الصغيرة. لكن جدي يحب الأغراض في غرفته، وطالما يضيف صورة ثم أخرى، وتماثيل ناس هامة أو شخصيات يحبها. حتّى خلف سمّاعات جهاز الموسيقى توجد صورة يمكن رؤيتها فقط من مكان محدّد

في الغرفة، وفقط إذا تمّ توجيه النظر من الزاوية الصحيحة. إذا أُعجِب جدّي بشيء فسيجد له بالتأكيد مكاناً ليضعه على أحد رفوفه أو ليعلقه على أحد جدران الغرفة.

في الصورة ظهر رجل يرتدي قميصاً أحمر لامعاً، أكمام قميصه واسعة وفتحة قبّته مفتوحة على أوسع ما يكون. «هذا فيلسوف روسي هام جدّاً»، قال جدّي بملاحظة عرضية. شعْر الرجل تطاير وقد ظهر وكأنه مطرب غجري يغني مع چيتارة، وليس كفيلسوف. «اصعد إلى هنا»، قال جدّي وأخلى لي مكاناً لأجلس على الطاولة بين الأوراق, العلب والقناني.

صعدت على الكرسي ثم على الطاولة وسحبت الكتاب.

«لا، ليس هذا»، صحّحني جدّي، «ذلك مع الغلاف الأزرق».

تناول جدّي الكتاب، مسح عنه الغبار بكمّ قميصه، وسحب منه صورة صغيرة بالأسود-والأبيض فيها رجل يرتدي بدلة وربطة عنق. «أترى؟»، أشار إلى الصورة، «هذا هو إميل چيللس، عازف البيانو الشهير الذي مات نتيجة خطأ ارتكبه الأطباء في مستشفى الكْرِمْلين. لقد شعر بسوء قبل الكونسرت، ولأنه كان فناناً كبيراً وشهيراً، أخَذوه على الفور إلى مستشفى الذوات في الكرملين. لكن من الذي عمل في مستشفى الكرملين؟ ليس أنا وجدّتك، يهود بؤساء! إنما أبناء الموظفين الكبار في المكتب السياسي وأصحاب العلاقات عديمو المهارة. أتفهم؟ لم يفعلوا ما كان يجب أن يفعله كل طبيب نبيه، فحقنوه بمادة البنسلين، ولكن إميل چيللس حسّاس للبنسلين. وهوب، مات! عمره ٥٨! جسم إميل چيللس أيضاً تحلّل وتحوّل إلى معجون مثير للإشمئزاز، لكن – ولحسن حظّنا – في ذلك الحين قد تمكنت التكنولوجيا من المحافظة على الموسيقى. لدي كل أشرطته تقريباً! آه! إميل چيللس! يا له من فنّان!» مرّر جدّي الصورة الصغيرة أمام الضوء، ثمّ قصّ أطرافها كي يتأكّد من تساوي جوانبها البيضاء، ووضعها على الغلاف.

«أترى؟ هذا كل ما تبقّى».

«لكن، ماذا عن الحياة بعد الموت؟» لم أستطع أن أهدأ.

«انها غير موجودة»، قال جدّي باختصار.

«لن ألاقي العم چاريك عندما نموت؟»

تردد جدّي للحظة. «لا يا عزيزي»، ضحك وقال «ولن تلاقيني أنا أيضاً. عليك أن تسرع لتلاقِي كل من تود أن تلاقِي هنا، في هذا العالم، عالمنا»، قال جدّي بينما كان يمسح الغراء على ظهر چيللس.

«إذن، لماذا لا تريد أن تزور العم چاريك قبل أن يموت؟»، لم أستطع أن أحافظ على هدوئي.

«هممممم....» تردد جدّي مرّة أُخرى فعرفت أنّ جوابه لن يكون حقيقياً، «يجب ألاّ نزعج شخصاً مريضاً... وضعه صعب على كل حال...»، قال بكآبة وعصبية أعرفها من قبل. إنها تظهر عندما لا يريد جدّي التحدّث بموضوعٍ ما. دارَ علبة البلاستيك بأصابعه المستقيمة الطويلة، ولصق إميل چيللس على الإطار.

«وعندما تموت أنت، ألا تريد أن آتي لزيارتك قبل موتك؟ حتّى أنا؟» لم أرد أن أسبب الحزن لجدّي، لكني لم أستطع أن أتمالك نفسي. أردت أن أعرف. صحّح جدّي شيئاً بالصورة ثم أبعد العلبة عن وجهه بيده الممدودة، معجباً بنتائج عمله.

«سنرى...»، قال، وحاجباه السوداوان المتناثران يغطّيان عينيه، كسقيفة حامية من المطر.

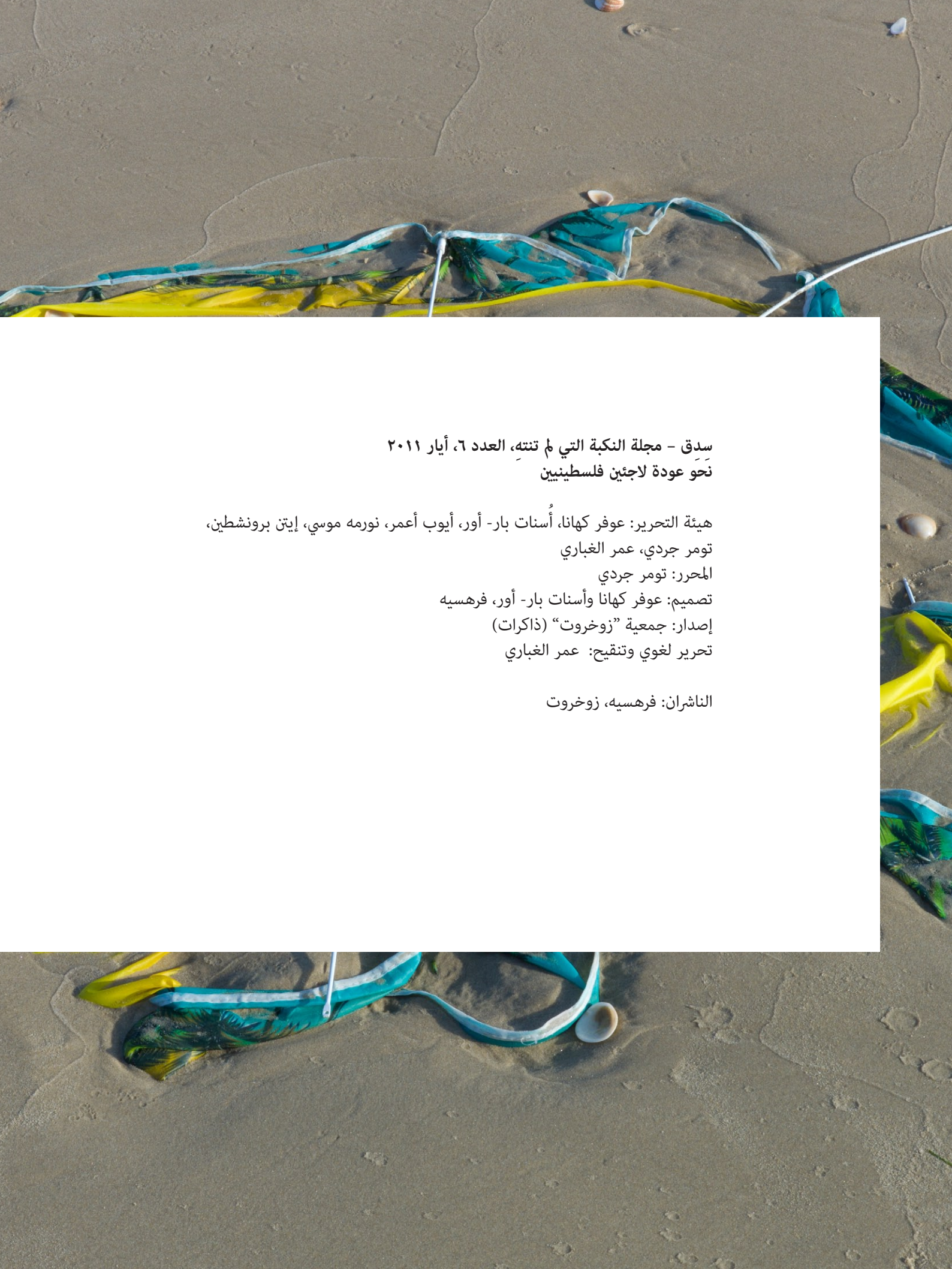

سِدق – مجلة النكبة التي لم تنتهِ، العدد ٦، أيار ٢٠١١
نَحوَ عودة لاجئين فلسطينيين

هيئة التحرير: عوفر كهانا، أُسنات بار- أور، أيوب أعمر، نورمه موسي، إيتن برونشطين، تومر جردي، عمر الغباري
المحرر: تومر جردي
تصميم: عوفر كهانا وأسنات بار- أور، فرهسيه
إصدار: جمعية "زوخروت" (ذاكرات)
تحرير لغوي وتنقيح: عمر الغباري

الناشران: فرهسيه، زوخروت